

التَّكْوِينُ الأكاديميَّة لِلدُّكتوراه وَهُويَّة المَعْرِفَةِ السُّوسِيولوجِيَّة فِي العِرَاق  
دِرَاسَةٌ فِي تَحْلِيلِ مَضْمُونِ السَّيْرِ العِلْمِيَّة لِلْمُدَّة (1990-1976)

Academic training for the doctorate and the identity of sociological knowledge in  
Iraq

a study in the analysis of the content of scientific biographies for the period

(1976-1990)

أ.م. د. حاتم راشد علي

A.prof. Dr. Hatem Rashid Ali

جامعة القادسية / كلية الآداب / قسم الاجتماع

*hatim.rashid@qu.edu.iq*

### المستخلص :

تسعى الدراسة للتعرف على علاقة التكوين الأكاديمية للدكتوراه في تشكيل هوية المعرفة السوسولوجية في العراق، وحاولت الدراسة الوقوف على أهم المدارس العالمية التي ساهمت في بناء التكوين الأكاديمية للأساتذة العراقيين في حقل السوسولوجيا، إلى جانب معرفة المدرسة السوسولوجية الأكثر حضوراً في هذا التكوين منذ بدايات مشروع الابتعاث في تحصيل شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع. المنهجية: إنَّ تحليل المرجعيات الأكاديمية تطلَّب أداةً منهجيةً خاصَّة، وهي أداة تحليل المضمون التي قادتنا إلى فحص الدليل التعريفي-السَّير العلمية للباحثين العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد، الذي تأسس سنة (1954)، ضمن مُدَّة زمنيَّة حُدِّدت في السنوات (1976-1977/1989-1990) وهي المُدَّة الزمنيَّة التي نشط فيها الأساتذة العائدين من الابتعاث بواقع (25) استاذاً كما ورد ذكرهم في الدليل التعريفي لسنة (1976-1977) وبواقع (23) استاذاً في الدليل التعريفي لسنة (1989-1990). النتائج: بدأ معنا في مُعابنة وتحليل الدليل التعريفي للأساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد أنَّ تكوينهم الأكاديمية كان تكويناً عالمياً، أي أنَّ الباحثين العراقيين انحدر جلُّهم

من مرجعيات عالمية توزعت بين المدارس الرئسية في تطوّر حقل السوسولوجيا في العالم، وهي المدارس الفرنسية والالمانية والاتحاد السوفيتي (سابقًا) والبريطانية ثم الأمريكية. الخلاصة: بدأ على هوية المعرفة السوسولوجية في العراق في بدايات تكوينها الأكاديمية، أنها هوية متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة الأمريكية، إذ أظهر الدليل التعريفي أنّ الأساتذة في قسم علم الاجتماع ذو مرجعيات أكاديمية انحدرت من الجامعات الأمريكية، مما انعكس على نتائجهم البحثية والتأليفية.

**الكلمات المفتاحية: التكوين الأكاديمي، الهوية، المعرفة السوسولوجية، السير العلمي**

### **Abstract:**

The study seeks to identify the relationship of the academic training of the doctorate in the formation of the identity of sociological knowledge in Iraq, and the study tried to identify the most important international schools that contributed to building the academic training of Iraqi professors in the field of sociology, in addition to the knowledge of the sociological school most present in this training since the beginnings of the scholarship project in obtaining doctoral degrees in sociology. Methodology: The analysis of academic references requires a special methodological tool, which is the content analysis tool that led us to examine the introductory guide- scientific biographies of Iraqi researchers in the Department of Sociology at the University of Baghdad, which was established in (1954), within a period of time specified in the years (1976-1977/1989-1990), which are the time periods in which the professors returning from scholarship were active by (25) professors as mentioned in the introductory guide for the year (1976-1977) and by (23) professors in the introductory guide for the year (1989-1990). Results: It appeared with us in the examination and analysis of the introductory guide of Iraqi professors in the Department of Sociology at the University of Baghdad that their academic training was a global training, that is, researchers descended mostly from international references distributed among the main schools in the development of the field of sociology in the world, namely the French, German, Soviet Union (formerly), British and American schools. Conclusion: The identity of sociological knowledge in Iraq in the early academic formation seemed to be an identity largely influenced by the American school, as the introductory guide showed that professors in the Department of Sociology have academic references that came from American universities, which reflected on their research and authorial outputs.

**Key words: Academic training, Doctorate, Identity, Sociological knowledge, Scientific Biographies**

## المُقَدِّمة

إنَّ مراجعة تاريخ تطوُّر السوسيولوجيا في العالم، لا يخرج عن كونه نتيجة سِجَال معرفي-إيديولوجي، وَسَمَّت بداياته التأسيسية إلى مدارس جغرافية-ثقافية متنوّعة، ويبدو ثَمَّة اتِّفَاق حول هذا الرأْي، في أنَّ السوسيولوجيا ارتكزت في بدايات تكوينها إلى مدارس ثلاث رئيسية، المدرسة الألمانية بجهود ماكس فيبر وكارل مانهايم مع تأثر فلسفي للأخير طبع علم الاجتماع، فضلاً عن المُناخ السياسي السائد آنذاك، والمدرسة الفرنسية بجهود أميل دوركايم، والمدرسة الأمريكية التي بدأ عليها التفوُّق في تقديم علم الاجتماع بهويَّة معرفية جديدة بفضل جهود تالكوت بارسونز في البنائية الوظيفية.

إنَّ هجرة (العقول العلمية) إلى الولايات المتحدة الأمريكية، سبباً بعد الحرب العالمية الأولى أمثال اصحاب مدرسة فرانكفورت النقدية: ادورنو، هوركهايمر، ثم كارل مانهايم، والنمساوي بول لازارسفيلد وغيرهم، انما هو مؤشِّر على تفوُّق المدرسة الأمريكية، إذ أنَّ اتاحة هامش من الحرية الأكاديمية لهؤلاء، والتثاقف المعرفي الذي حصل قَادًا -بلا شك- الجامعات الأمريكية إلى تفوُّقها عالمياً.

أشارت الدراسات العلمية في هذا السِّياق، أنَّ التَّكوين الأكاديمية للدكتوراه يُؤثِّر في سمعة ومقام القسم العلمي فضلاً عن الباحثين، وهذا ما عينه الأخوين (Cole & Cole) في دراسةٍ لهما بعنوان (Social Stratification in Science 1973)، وهذا التأثير يتبيَّن في متغيِّرات مثل: الانتاجية البحثية، والنوعية الاجتماعية للباحثين كالأستشهادات بهم، ومن ثم يحدد أولويات (معايير) للتراثب الاجتماعي داخل بُنيَّة العلم، إلى جانب ما اشار اليه (ديفيد ميلز) حول تأثير الابتعاث للحصول على الدكتوراه في تطوُّير القدرات التنظيرية والعمل المقارن للباحثين.

ولهذا، فإن الدراسة الحالية تحاوُل تحليل أثر هذه التحوُّلات في حقل السوسيولوجيا على تطوُّر علم الاجتماع في العراق في بدايات تأسيسه، فكان السؤال المحوري: ما علاقة التَّكوين الأكاديمية للباحثين العراقيين بهويَّة المعرفة السوسيولوجية-المحلية؟ ولأجل تحقيق ذلك كان لا بُدَّ من أداة منهجية خاصة، نَحُلُّ من خلالها السَّير العلمية للاساتذة العراقيين، فكانت أداة تحليل المضمون (Content Analysis) مناسبة لهذا الغرض، إذ تم تحديد المدة الزمنية للسنوات (1976-1990) لتحليل السَّير العلمية للباحثين.

ولهذا، فإن علم الاجتماع رغم جهود الباحثين العرب والعراقيين في لحظة ما، يبقى علماً وليد ظروفٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ سجّلت في لحظاتٍ تاريخيةٍ عنوانها الثورات العالمية المعروفة، والتي حدّد بداياتها عالم الاجتماع الفرنسي (أوكست كومت)، فهو إذاً علم ناشيء ومُتحرّك في صلب تحولات انعكست في نظرياتٍ ومقارباتٍ علميةٍ غريبةٍ حصرًا، فشكّلت بالنسبة لنا عدساتٍ سوسيولوجيةٍ تُعابِنُ بها مشكلاتنا، وهذا ما يدعونا مرارًا للتساؤل نحو علاقة (تفوّق و/أو ارتهان) معرفتنا السوسيولوجية على الأقل.

### أولاً: إشكالية الدراسة ومبرراتها

إن علم الاجتماع نتيجة تنوع المدارس والاتجاهات النظرية سواء الكلاسيكية منها أو الحديثة، كما نلاحظ ذلك في جهود رواد التأسيس بدءًا بدوركايم وماكس فيبر مرورًا برواد المدرسة الأمريكية بزعامة البنائية الوظيفية، مع عدم حسم الانتهاء من هذا التدفّق للتّظهير، فعلم الاجتماع مازال نسقًا مفتوحًا يستقبل نتائج العلوم الأخرى، فضلًا عن نتائج المجال الرقمي الهائلة.

يُشكّل المقام التّراثي للجامعات الأمريكية في منح شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع بعد الحرب العالمية الأولى مؤشّرًا واضحًا في تفوّقها، وقد يكون من مُميّزاتها المنهجية المتنوّعة التي تبدأ بالفرضيات وتنتهي براغماتيًا بنتائج ذات تأثير على الرأي العام والمؤسسات، كما في مدرستي شيكاغو التي ازدهرت فيها الدراسات الايكولوجية بفضل روبرت بارك وزميله بيرجس، ومدرسة كولومبيا التي سادت فيها الدراسات التطبيقية بفضل جهود بول لازارسفيلد، مما شكل عوامل جاذبة لهجرة الباحثين إليها، وهُنّا نتساءل عن دور ابتعاث الباحثين العراقيين بُعيد الحرب العالمية الثانية وعلاقته بتكوينهم المعرفي ومستويات انتاجيتهم البحثية والتأليفية في علم الاجتماع.

لذلك، اعطينا مراجعة السّير العلميّة للباحثين العراقيين إيدانا مشروعًا بتقديم تساؤلات قد تُوصفُ انها مُقتضيات مرحلة تاريخية معيّنة، سيما والمقصود هنا خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن العشرين، لكن في ذات الوقت، نُجيزُ لأنفسنا حق التساؤل عن أثر هذه المُدد الزمنية في هوية المعرفة السوسيولوجية-المحلية، وهو يمثل تبريرًا لتوجه الدراسة الحالية نحو اختيار هذه المُدد الزمنية تحديداً، ثم فهم ذلك (ضمنًا) بعلاقته في تطوّر/تراجع السوسيولوجيا في العراق، مما اتاح ذلك تقديم تساؤلات في النحو الآتي:

- ما علاقة التّكوين الأكاديمية للدكتوراه بهوية المعرفة السوسيولوجية في العراق؟.
- ما المدارس الاساسية في التّكوين الأكاديمية للاساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد؟.
- ما المدرسة الأكثر حضورًا في التّكوين الأكاديمية للاساتذة العراقيين في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد؟.

أما مُبَرِّراتِ اختيارِ الاشكاليَّةِ الحالية، فإن من الضروري بيان ذلك، إذ إنَّ اختيار المُدَدِ الزمنية الواقعة بين(1976-1990) إنّما يعود بنا إلى لحظة التأسيس الأولى وما تلاها لنظام البعثات سيمًا بعد الحرب العالمية الثانية، الذي شمل كل التخصصات الانسانية والتطبيقاتية، التي ازدهرت ضمن هذه المُدَدِ انتهاءً-وهذا مدعاة للأسف- مع دخول العراق مُجتمعًا ودولةً في حُقبةٍ زمنيةٍ يمكن أن يُقال عنها(مظلمة) بعد حرب الخليج سنة(1990) وما تلاها من انعزال تام للجامعات العراقية عن التطوُّر العلمي في العالم الخارجي، فتوقف على اثرها نظام البعثات إلى الجامعات العالمية. ويُمكننا ايجاز المُبَرِّراتِ في الآتي:

- توقَّف نظام الابتعاث إلى الجامعات العالمية في علم الاجتماع.
- اقتصار منح شهادات الدكتوراه على جامعة بغداد لغاية سنة (1990).
- إنّ أغلب الأساتذة المُتمرِّسين والحاصلين على شهادات الدكتوراه من الجامعات العالمية كانوا ضمن المُدَدِ (1976-1990)، كما اتَّضح في الدَّلِيلين التَّعريفين اللذين اعتمدنا عليهما في الدراسة الحالية.
- إنّ أغلب القدرات التَّنظيريَّة والتَّأليفيَّة إلى جانب التَّرجمات كانت من نصيب المبتعثين إلى الجامعات العالمية في علم الاجتماع؛ ممَّا ساعدنا على المقارنة وتحديد هُويَّة علم الاجتماع في العراق. في حين ترتَّب على انقطاع البعثات بعد سنة(1990) أن تراجع مُؤشِّر التَّأليف، وفي الاعم تراجع مُؤشِّر التَّرجمة الذي يرتَّهَن في ازدهاره إلى تعلُّم اللغة الانكليزية والعلمية للاختصاص.
- تأسيسًا لما سَبَق، فإن الدراسة الحالية تَبَحُّث في تأثير الابتعاث عند مستوى شهادة الدكتوراه إلى الجامعات العالمية ذات المكانة العالمية، وعلاقة ذلك بهُويَّة المعرفة السُّوسولوجية في العراق، والذي تَمَّت معاينته في المُدَدِ (1976-1990).

### ثانيًا: الاطار المرجعي- النَّظري

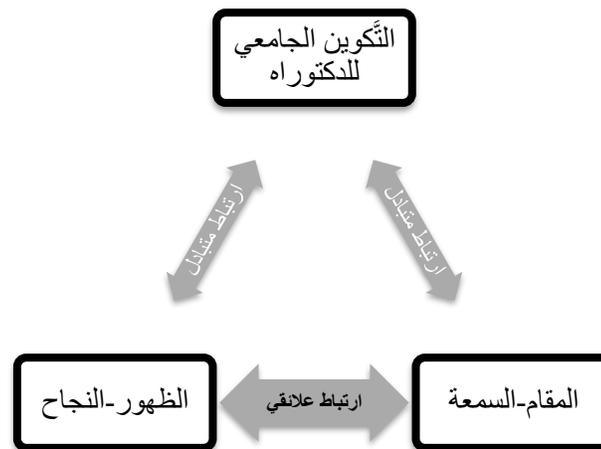
قَدَّمَ الأخوين كول وكول (J.R. Cole & S. Cole) دراسة مُعنونة بـ (Social Stratification in Science) (1973)، وتضمَّنت عينةً مُكونةً من الفيزيائيين بواقع (1308) من أقسام جامعيَّة بلغت(58) قسم (دوبوا، صفحة 226)، مع اعطاء وزن في التمثيل ضمن العينة لفئة النساء؛ لان الاخيرة تمثل فئة محدودة في الانتاج البحثي والاستشهاد، والتي اعزها العالمان إلى ضعف مؤشرات ما اسمياه بفرضية التعزيز التفاضلي (Differential Reinforcement)، مثل الترفقيات المبكرة والمنح البحثية والجوائز الشرفية (Zuckerman, p. 242).

إنَّ الهدف من دراسة العالمين هو تفسير الموقع/المقام الخاص بفئة الفيزيائيين داخل البناء التراتبي للعلم، وفي هذا السِّياق قَدَّمَ سبعة متغيِّرات في تمييز هذا التَّراثب، تم التركيز على اربعة منها هي : العمر (The Old)، والمقام أو المكانة (Status) المتعلق بالقسم الجامعي، والانتاجية (Productivity)، وعدد المكافآت-

الجوائز (Rewards) مع اضافة متغير آخر يتعلق بالنوعية الاجتماعية للعمل وهو يستند إلى حجم الاستشهادات العلمية (SCI)، ويذكر دوباو أن هذا المؤشر لا يمثل (اطلاقاً) في حسم تميز العلماء فهو مقياس ملائم لنوعية محددة في اطار عمل ما (دوباو، صفحة 227).

تبدو النُّكْتَةُ الاساسية في هذه الدراسة، هو رهن سمعة القسم العلمي للعالم بنجاح هذا العالم، وبمعنى آخر أن مكانة العالم مرتبطة بمقام القسم الذي ينتمي تكوينه الأكاديمية اليه، وهو ما يساعد على بروز (ظهوريته) أي أن ما يقوم به من عمل يسهل معرفته واسناده إلى تكوينه الأكاديمية هذا. فالعالم-الاستاذ الجامعي يستطيع بفضل تكوينه الأكاديمية أن يؤسس لنفسه سمعة، وهذه الجزئية رغم عموميتها التي اظهرها الأخوين كول، إلا انها تُعطي مؤشراً ثانوياً مهماً هو أن مقام القسم العلمي أو الجامعة يؤسس هوية الباحث العلمية، وهو ما أسماه الأخوين بـ(النجاح-الظهور)، وهذه الهوية تتضمن: اللغة والادوات النظرية والمقارنة، وهو نقوق ملحوظ عكس الاستاذ الجامعي الذي ينتمي إلى قسم بمرتبة أقل، أي تكوين اكايمي محلي، عندئذ نلاحظ عناصر الهوية المشار اليها كاللغة-الترجمة ضعيفة إن لم تكن موجودة، إلى جانب ضعف الأدوات التحليلية-التنظيرية ومستوى المقارنة.

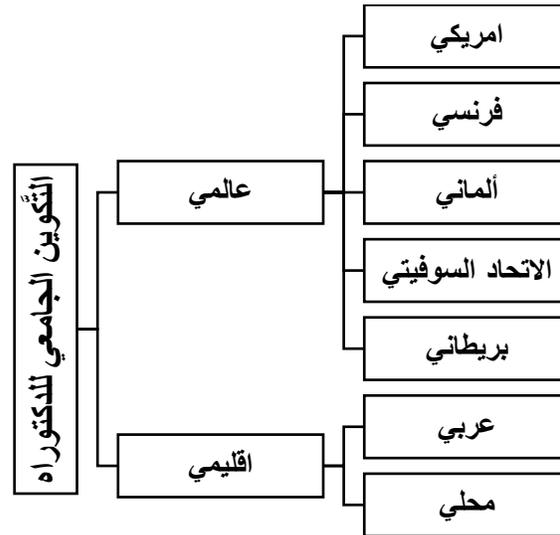
إن فهم التراتبية بين الجامعات، انما اختزلها الاخوين كول في فكرة مؤداها: أن هناك ضرورة في تحييد المكانة للجامعة أو القسم العلمي وفق مقتضيات لايمكن معها اكتساب التفاضل-التمايز بين الجامعات. ففي دراسة اجريت عن علاقة انتاجية البحث وتصورات الأكاديميين حيالها، أن جملة عوامل تقيد سمعة الجامعة جاء في مقدمتها ما يعرف بالسمات المؤسسية (Institutional Features) التي تتضمن: (نوع وحجم المؤسسة الأكاديمية، ظروف القسم أو الجامعة، التمويل، المختبرات..الخ)، وهي سمات الجامعة المتفوقة و/أو اللامتفوقة التي تتيح لباحثيها الدافع الابداعي في نوع وحجم الانتاجية (Angela Brww, pp. 681-697).



رسم توضيحي 1 التأثير العلائقي بين التكوين الأكاديمية للدكتوراه ومتغيرات المقام والنجاح استنادا إلى مقارنة كول وكول

والملاحظ على دراسة الأخوين، أنّ الحضور المتبادل بين متغيّرات التمييز للعلماء مرتبهة إلى هذا التأثير المتبادل، سواء في انتاج العالم لأبحاث نوعيّة أو كمّيّة، كلها تتحدّد وفق التّكوين الجامعي للدكتوراه، لكنها ليست سببية، إذ هي ظروف متعلقة بهذا التّكوين تساعد الباحث على تمييز نفسه أمام الآخرين سواء في رصانة ما يكتب أو ترجمة الافكار أو القدرة التنظيرية لمؤشرات الحياة اليومية، والقدرة ايضاً على نقل حقول معرفية تأسيسيّة إلى البلد الذي ينتمي اليه هذا العالم أو ذلك. ويبدو منطقياً التساؤل عن العائد الأكاديمية للجامعة جراء المساهمة في التّكوين العلمي للاستاذ الجامعي، ففي دراسة سابقة حاولت الاجابة عن هذا السؤال، اذا ما كانت الجامعات كمؤسسات بحثية تدعم مشاريع الاستاذ في اجراء البحوث، فإن ما تجنيه الجامعة هو السمعة (Reputation) (Elisabeth. M . S, p. 12)

لذلك نجد في مقارنة كول ما يؤسس لتصنيفات تراتبيّة بين انواع التّكوين الجامعي للأساتذة، ويمكن لمقتضيات الدراسة الحالية أنّ ننظر في تصنيف مقترح لانزوم منه الاحكام الاخلاقية بقدر متطلّبات التّحليل فقط، وهذا التّصنيف يتوزّع إلى فئتين اساسيتين (عالمي/محلي)، كما أنّ هذا التّكوين الفرعي للفئة يندرج ضمنه تكوين فرعي - فرعي.



رسم توضيحي 2 فئات تحليل التّكوين الأكاديمية للدكتوراه

وهكذا، يمكن فهم التّكوين الأكاديمية العالمي للأستاذ بوصفه خاصية جوهرية في تقييم هويّة المعرفة السوسولوجية في العراق، وهو ما يستدعي متابعة تحليلية لمجمل المرجعيات الأكاديمية (السّير العلمية) للأساتذة؛ كي يمكن وصف واقع المعرفة في حقل السوسولوجيا، فضلاً عن فهم متضمّنات نتائج التّكوين الأكاديمية (تفوّق/اخفاق) في سياق الدراسة الحالية. وهنا يصف نورمان فاركلوف (N. Fairclough) هذه العملية الضمنية بـ(التناص) الذي يّضح معنا في السؤال الذي اثاره فاركلوف نفسه وهو « ما النصوص والاصوات التي

يتضمنها النص، وما التي يقصدها» (فاركلوف، صفحة 139)، فثمة دلالات داخل الدليل التعريفي للأساتذة العراقيين تتيح لنا وصفها بالنتائج المرتبطة بتكوينهم الأكاديمية، وهذه النتائج ربما تبدو استدراقات حيال انقطاع البعثات العلمية في علم الاجتماع، وتراجع واقع الاختصاص.

وفي دراسة ثانية قدم (ديفيد ميلز)، عرضاً موجزاً لتاريخ دراسات الدكتوراه للمبتعثين إلى الجامعات العالمية، وربط هذه العملية بتطور حقل السوسيولوجيا، وفي هذا الاطار تم البحث في اصول حركة الطلبة على الصعيد الدولي في أواخر المرحلة (الاستعمارية)، وركز على عناصر اساسية تتعلق بنواتج ما تجنيه الجامعات العربية من فوائد تُجاه ابتعاث طلابها إلى الجامعات العالمية المعروفة من خلال ما سمّي بـ(هجرة العقول) (ميلز، صفحة 139). كما اتاح ديفيد ميلز الفرق ما بين الشهادات التي تمنحها الجامعات العالمية والتحصيل المحلي، ملاحظاً نوعان من الفروق:

- ❖ القدرات التنظيرية والعمل المقارن (التحصيل العالمي)،
- ❖ قوة قدرات البحث الاجتماعي-الميداني (التحصيل المحلي)،

ومن خلال هاتين النقطتين، فإن مقارنة واقع الابتعاث ونتائجه على المعرفة، يقدم -إلى حدما- عدم المساواة و/أو الهرميّة في التّفوّق المجالي للمعرفة السوسيولوجية، فاذا ما اردنا فهم النقطة الأولى المتعلقة بالقدرات التنظيرية والعمل المقارن، فهي تشكل سمة التحصيل العالمي للدكتوراه، لكنها ليست متفوّقة على النقطة الثانية المتعلقة بالبحث الاجتماعي الميداني، فيمكن أن يجتمعان معاً في هويّة الاستاذ الجامعي ذو التّحصيل العالمي، لكن بالنسبة إلى الاستاذ ذو التّحصيل المحلي قد لا يجتمعان معاً لئيشكّلاً هويّة الاستاذ، إذ أنّ قدرات التنظير والعمل المقارن راجعة إلى فهم اللغة ومواكبة العلماء ونتائجهم في الجامعات العالمية، وهذا ربما سيّضح (ضمناً) في معاينة السّير العلمية للأساتذة العراقيين، فيلاحظ على قسم منهم قدرات تنظيرية وفكرية وإحالات مرجعية لعلماء اجانب، في حين تبدو النقطة المتعلقة بتقنيات البحث الاجتماعي المحلي سمة غالبية على الأساتذة ذوي التّكوين الأكاديمية المحلي.

### ثالثاً: نبذة تاريخية عن التّكوين الأكاديمية للدكتوراه

ربما تُعد بداية التّكوين العلمي للمتقنين العرب مُرتبطة إلى بزوغ الحملات الكولونيبالية التي فتن من خلالها المتقنون بمنجزات الغرب. إذ إنّ الاحتكاك بأوروبا كان سبباً في ولادة نخبة المتقنين العرب، اذا ما عرفنا أنّ قسم منهم قد بدأوا برحلات إلى الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال: علي مبارك، وجمال الدين الافغاني، ومحمد عبده، فهم طلاب معرفة حسب رأي (جيرار ليكلرك) (ليكلرك، صفحة 199).

وبالنسبة إلى التكوين الأكاديمية للدكتوراه في علم الاجتماع في البلدان العربية، فإن الإفتتان بالغرب مازال مؤثراً بشكل كبير، ولا شك تاريخياً أن مصر كانت رائدة في ذلك عبر الابتعاث العلمي. إذ نشأ علم الاجتماع فيها سنة (1925) كأول قسم مرتبط بالفلسفة بجامعة القاهرة، لحين استقلاله سنة (1956)، أما عن المدرسة المعرفية التي مال إليها المهتمين بعلم الاجتماع فهي المدرسة الفرنسية، وراثتها الممتد إلى تاريخ الاستعمار الفرنسي (بدوي، صفحة 132). ويُذكر أن الرّعيّل الأول من علماء الاجتماع في مصر كان تكوينهم الأكاديمية للدكتوراه مُنحدرٌ من الجامعات الفرنسية، فأختير عددٌ من المتفوقين في اقسام انسانية كاللغات والفلسفة للحصول على الدكتوراه في علم الاجتماع، وهؤلاء: (علي عبد الواحد، حسن الساعاتي، حسن سعفان، احمد الخشاب، احمد ابو زيد، عبد المعز نصر..، وعند تدشين القسم في مصر سنة (1953) بشكل مستقل، عُين علي عبد الواحد وافي كأول رئيس قسم ثم جاء بعده عبد العزيز عزت، وكلاهما تتلمذوا في فرنسا بل أن مؤلفاتهم عكست التأثير الفرنسي في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، للحد الذي استمر التأثير للذين لم يتعلموا في فرنسا مثل: الدكتور مصطفى الخشاب، والدكتور احمد الخشاب (ابراهيم، صفحة 97).

وفي ذات السّياق، شهدَ المغرب الذي أخضع للحماية الفرنسية سنة (1912) أن أُسس فيه معهد الدراسات العليا المغربي سنة (1920)، وكان هدفه نشر الأبحاث العلمية الخاصة بالمغرب حول لغاتها وثقافتها، وهو -على ما يبدو- هدف استشراقي، ولذلك غدّت السوسيولوجيا في المغرب إلى جانب دول المنطقة انها تشكل امتداداً للسوسيولوجيا في فرنسا منذ ستينيات القرن العشرين حتى بعد الاستقلال السياسي لهذه الدول، ولاينكر تأثير العالم الفرنسي (بيير بورديو) على التوجهات البحثية مثل البحوث التي تناولت موضوعات العمل، والسكن، والاستهلاك في الجزائر (شنتوف، صفحة 138). وفي الجزائر يذكُر أنّ استعمال مصطلح السوسيولوجيا الفرنسي (Sociologie) ترافق مع تأثير دوركهايم، ثم توالى دراسات متأثرة بهذا المعنى تبحث في مسائل (ثقافية- هويّاتية) كالاسلام والبربر..، ويعود الفضل فيه ايضاً إلى تأثير اتباع المدرسة الفرنسية امثال: (ريني مونيه R. Mounie) (الزبير، صفحة 113). وفي تونس لم يختلف الحال، إذ الحضور للمدرسة الفرنسية على مساحة واضحة، فمنذ وضع برامج لتدريس علم الاجتماع للمُدّد (1961-1979) كان التكوين الفرنسي لاكتساب المعرفة لدى المتلقي التونسي كبيراً للحد الذي بلغ عدد المراجع المكتوبة باللغة الفرنسية نحو (191) مرجعاً (لبيب، صفحة 325).

إنّ حضور علم الاجتماع في الحالة العراقية، كان حضوراً تأسيسياً، إذ تميّز بخاصيّتين: الأولى، أنّ العراقيين اسهموا في السّبق التاريخي لتأسيس علم الاجتماع في العالم العربي إلى جانب مصر ولبنان، الثانية أنّ التكوين الأكاديمية للدكتوراه لدى العلماء العراقيين منحدر من الجامعات الأمريكية سيما الجيل الأول الذي سيأتي الحديث

عنهم خلال الدراسة، وهو ربما سَبِقُ آخر في نقل وترجمة المعرفة السوسولوجية الأمريكية، فضلاً عن تقديم جزء من الاسهامات السوسولوجية العربية إلى أمريكا، والكلام عن الدكتور علي الوردي الذي قدّم أطروحته للدكتوراه سنة (1950) عن ابن خلدون. وأسس قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد سنة(1954) بعد عودة المبتعثين امثال: الدكتور علي الوردي، الدكتور عبد الجليل الطاهر، الدكتور حاتم الكعبي.

جدول I التكوين الأكاديمية عند جيل المؤسسين في علم الاجتماع

ت	الباحثون	الجامعة	السنة
1	علي الوردي	تكساس-أمريكا	1950
2	عبد الجليل الطاهر	شيكاغو-أمريكا	1952
3	حاتم عبد الصاحب الكعبي	شيكاغو-أمريكا	1954

وتميّزت نتاجاتهم بقدراتٍ متنوّعة من التحليل سواء النظرية أو التطبيقية، وما ظهر عليها ميلها في الاستشهاد والمقاربات إلى المنظرين الأمريكيان -سيأتي الحديث عنهم خلال البحث-، لكنهم استطاعوا أن يضعوا ملامح هوية عراقية في السوسولوجيا عبر جهود تنظيرية ما زالت مؤثرة في فهم البناء الاجتماعي في العراق، سواء في تشرذم جماعته ام معوقات انتظامها. لقد شغل الرواد مساحة زمنية فيها من الحيوية التأليفية والبحثية والترجمات الشيء الواضح طوال المُدّد ما بين(1950-1969/1970)، ويمكن وصف ما انتجوه بالأصالة التأسيسية، كونهم واكبوا التغيّرات الاجتماعية- المحلية مما انعكس على نتاجاتهم.

ولتأكيد مستوى التوافق هذا، فإن علي الوردي شكّل نموذجاً بارزاً، إذ جاءت فرضياته وفقاً لتأثير التحوّلات الاجتماعية في العراق، فقدّم موقفه السوسولوجي/التنظيري في ثلاثة فرضيات رئيسة، ففي كتابه الأول:(شخصية الفرد العراقي عام 1951) وضح فرضيته الأولى حول فكرة ازدواج الشخصية ثم أسهب بشرحها في كتابه:(دراسة في طبيعة المجتمع العراقي عام 1965) (الوردي، صفحة 12)، مُبيّناً في الواقع مشكلة الانسان العراقي في عدم قدرته في التعاطي مع مُنجزات الحضارة، فهو يحسب ألف حساب لما يعترّيه من قلق وارتداد واضح إلى القيم البدوية و/أو الريفية، ومن ثم هذين النظامين من القيم إنما هما متعاكسين عند الوردي، ينتج عنهما تناقض مع مفهومي الدولة والاحتراف، في الأولى يجد أهل البداوة أنفسهم ليسوا ميّالون إلى الدولة، بل ينقرون منها، وهذا مرتبط بتنظيم القبيلة بوصفه كيان سياسي يحل محل الدولة، ومن ثم، الخضوع للدولة مدّلة ودفع الضرائب لها إقرار بالمدّلة، وهو ما يعني في الحالة الثانية، أن الاحتراف المشتق من المهنة والحرفة هي الأخرى مهانة بالنسبة لهم، فمن خلالها يصبحون أفراداً تابعين للدولة وطبّاعهم ليست كذلك فهي جُبِلت على الغزو والنهب.

ثم بعد ذلك ينتقل الوردي نحو معالجة ما عُرف بـ(المدّ والجزر)، والمقصود به المد البدوي وهو مقدمة لظهور مفهوم التريّف الذي مازال لليوم يشكّل هاجس الانسان العراقي في المناطق الحضرية، فهذا المد يسيطر تارة ويتراجع حيناً بفعل نفوذ الحضارة ومنجزاتها، فهناك تمّدد واضح لقيم ريفية نجده بمظهر مفاهيمي مختلف إلا أنه مرتبط بأصل التمدّد الريفي، من قبيل: (أبن عشيرتي- غرايبي) الموجود كمصدر قرابي رئيسي في الريف، ما يماثله في المدينة ضمن المعنى التقليدي بعبارات(أبن محلتي) أو (جيراني) أو (أبن ولايتي) (محمد، صفحة 213)، وهذا (الصراع؟) عند الوردي ما زال قائماً بقوة لكن ما هي أسبابه؟،

في كتابه لمحات اجتماعية، يوضّح ذلك بضعف بناء الدولة بالكامل عبر حكوماتها المركزية، وعدم أهمية القانون في ضبط الأمن، لكن هل الصراع نتج عنه بالمفهوم الماركسي قضية جديدة تتمثل بدولة جديدة ونظام قيم جديد(ايدولوجيا)، أم أننا لسنا ضمن خانة الصراع ؟. وبالعودة إلى كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي فإن الوردي حاول رَدَم دائرة ابن خلدون بين نظامي القيم(البدوي والحضاري) عبر مناداته بتطبيق النظام الديموقراطي، فإن الانشقاق بين الجماعات في العراق سواء كانت قبلية ام طائفية ام قومية، لا يمكن القضاء عليه الا بالنظام الديمقراطي من خلال تشارك كل فئة في الحكم حسب نسبتها العددية.

أما في الفرضية الثانية(ازدواجية الشخصية) فإن تناقض السلوك الميّال إلى أحد نوعي نظامي القيم بالتأوب لدى الانسان العراقي انما يتحول إلى طريقة ميكانيكية يتعاطى معها الفرد دون أن يشعر بهذا التناقض، فضلاً انه يتمثّل ذلك بوصفه إراثاً ثقافياً/ تاريخياً، وهذا ما أشره الوردي في ثلاثة ظواهر مثل: الطريقة الجدلية، ونمط التربية الأسرية، وتناقض القيم كالعصبية مقابل النخوة وحق الجيرة مقابل الحرية الفردية والمساواة بين المواطنين (الحيدري، صفحة 72)، في حين كانت الشرائح التي تنعكس فيها هذه الظواهر، هي(حضرية-المدن) بشكل كبير كما(اعتقد الوردي) مثل المتطرّفين، والنّخب من المتعلّمين والمثقّقين، وفي النظام البيروقراطي أو المُدراء، والسياسيين.

وشكّلت فرضيته في(التناشر الاجتماعي) الفرضية الثالثة، التي أشرها الوردي في ثلاثة أبعاد: الحقوق والواجبات، وسائل الاعلام واختيار شريك الحياة، التراث الديني والتغيّر الفكري، في البعد الأول، العراقيون يطالبون الحكومة بتوفير كل شيء مقابل عدم التزامهم ما تريده الحكومة منهم، والبعد الثاني، الحديث عن اختيار شريك الحياة عبر الحب والعلاقة الوجدانية مقابل الرضوخ إلى المنطق التقليدي- العائلي في اختيار الشريك، ومثّل البعد الثالث عدم مجارة رجال الدين للتغيّرات في النسق العام للتفكير في العالم، فهذه الأبعاد من التناشر الاجتماعي جعلت الوردي يُعيد بناء نسقه النظري عبر إنتاج صراع البدأوة/الحضارة (الخلدوني) بصورة تناشر اجتماعي بين حضارة حديثة وحضارة تقليدية (الجبار، صفحة 104)، وهذا ما ميّزه عن ابن خلدون، فالأخير أقلّ الدائرة بتوحش

قادم ومستمر على العمران متمثلاً في نصوص سجلها ابن خلدون في مقدمته: «الأوطان الكثيرة القبائل قلَّ أن تستحكم فيها دولة» و «الرياسة في أهل العصبية» و «الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها» (خلدون، صفحة 141)، بينما الوردي فرط هذه العقدة عبر تناثر شطره الأساسي تغيّر قادم من الأمام المجتمع وليس التاريخ من وراء، وهو كفيل بشدنا اليه وتحويل خياراتنا من الماضي إلى الحاضر حتى وان بُعدت المسافة وانقرضت أجيال.

إن فرضيات الوردي شكّلت نسقاً نظرياً متحرّكاً؛ بمعنى دخلت في حوار مستمر مع الحياة العامة، بل لا نجدُ أحدًا من الباحثين عند دراسة المجتمع العراقي الا وذكر (صراع القيم) نموذج التريف والحضر أو (ازدواج الشخصية) ونموذج السلوك المتناقض أو (التناثر الاجتماعي) ونموذج المرحلة الانتقالية للعراقيين، وما جعل الوردي بهذه الكيفية من الحيوية في النقاش السوسيولوجي المحلي هو أسلوبه البسيط في اختيار اللفظ واحاطته معنى يخطر في الذهن بسرعة، وتضمين اللفظ والمعنى انتقاداً ساخراً تجاه الظواهر المتضمنة لفرضياته. فالوردي، لم يكن مجرد عضواً في مدرسة السوسيولوجيا العراقية، اذ احتوى مشروعه تحليلاً ونقداً للظواهر في المجتمع، مع طروحات قدمها كبدايل كما في حالة الديموقراطية، فأجاد في التساؤل وأجاد في طرح البدائل، مما رشحه ذلك لان يكون محل اهتمام واسع في أوساط العامة والأكاديميين، فحوله دارت النقاشات والمراجعات واستدعاء ما كتبه لغاية الآن، وإلى جانب ما ميّزه كما أشار دكتور اياد القزاز، كونه تفرّد من بين علماء الاجتماع في العراق، نحو تطبيق الاطر النظرية الاجتماعية إزاء الواقع الاجتماعي، فقد حاول مراراً ضمن سلسلة من كتبه أصدرها تباعاً في دراسة التاريخ الاجتماعي العراقي والاسلامي من خلال اتجاهات علم الاجتماع، مع تفرّده كذلك بتجاوز الاسلوب المباشر في الكتابة الأكاديمية الصارمة والتي تخاطب العلماء أو الباحثين، فكان هدفه مخاطبة جمهور عام، وتقديم قضايا علم الاجتماع ضمن حديث العامة، كالبناء الاجتماعي، والعمليات (Processes)، والتغيّر في المجتمع العراقي (Qazzaz, p. 98).

وضمن الاتجاه التنظيري، فإن الدكتور عبد الجليل الطاهر (1917-1971) شكّل العضو الثاني البارز في تسجيل نقد سوسيولوجي تجاه موضوعات متعدّدة كالبداوة في العراق وطرق تنمية الريف العراقي والمجتمع المدني والشخصية العراقية، لكن يبدو أنّ جهده التنظيري والمعرفي ظهر بشكل جريء مع طروحاته حول الشخصية العراقية اذ وصفها: «شخصية مُتوقّعة وقلقة في آن معاً»، تبرز في مظاهر الانتماء للأسرة والمحلة أو القبيلة والطائفة وتنظيمات صغيرة تسحب الفرد العراقي نحو إملاءاتها المُتحرّجة مما يسفر عنه تصدّع في البناء النفسي للشخصية وتصدّع في البناء الاجتماعي العام، كما أن شخصية العراقي تتميّز بمظهر تاريخي ضمن مرحلة تاريخية يستغرق كثيراً في استدعاء هويته، فمركز الثقل يختلف في اهتمامه من مرحلة إلى أخرى، مع تمتّع هذه

الشخصية بكثافة العلاقات في مستوياتٍ واطاراتٍ مختلفة (الطاهر، صفحة 35)، كما نلمس وضوح الحس النقدي للطاهر في كتابه (أصنام المجتمع، 1956) فيقدم وصفاً جريئاً في شيوع الأوهام والأساطير والأفكار المغلوطة خارج سياق البحث العلمي والمنطق، ممن يتعصب لها الفرد، وهي تُشاع في المجتمعات البسيطة والمجتمعات ذات الانظمة السياسية/الدكتاتورية والارستقراطية (الطاهر، صفحة 5)، وإضافة لما أنتجه الطاهر من أبحاثٍ تأسيسية في المعرفة الاجتماعية، فإن مما سَجَل له ترجماته لأبحاث وكتب ولعل أبرزها كتاب (الأيدولوجية والطوبائية، 1968) لكارل مانهايم، مع مقدمة المترجم التي تجاوزت الـ (20) صفحة الأكثر وضوحاً مما ترجمه في هذا الكتاب، وكتاب (العشائر والسياسة، 1958)، وهو بحث استخباراتي بريطاني عُثر عليه الطاهر في أمريكا يتحدث عن الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر وعلاقتها بالإدارة البريطانية.

إلى جانب الطاهر، ظَهَرَ الدكتور حاتم الكعبي (1917-1979) ويُعد أول مهتم بظواهر السلوك الجمعي في العراق وربما (عربياً) ، فضلاً عن سبقه التألّفي- المنهجي في علم الاجتماع خلال اربعينيات القرن العشرين تزامناً مع ظهور كتاب (مقدمة في الاجتماع سنة 1939) للدكتور عبد الفتاح ابراهيم، ويمكن فهم توجه الكعبي من خلال مؤلفاته الرئيسية كمؤلف (في علم اجتماع الثورة 1959) و(حركات المودة 1971) و(السلوك الجمعي، 1973)، ففي كتابه حركات المودة يؤرخ لازدياد ظاهرة المودة في الحياة واتساعها في المدن وارتباط هذا النوع من الظواهر بالتغيّر الاجتماعي السريع، وهو بلغة السلوك الجمعي -كما يقول- دلالة على تزايد الذوق العام، والتّقويم العام، والرأي العام في المجالات السياسية والاقتصادية بصورة خاصة، مع تزايد أهمية السلوك الكتلي والسلوك الجماهيري، والظواهر الجمعية ومنها المودة بصورة عامة (الكعبي، صفحة 11)، أما كتابه (السلوك الجمعي) فقد قدّم الكعبي نفسه فيه بوصفه سوسيلوجي صارم يعتمد في بحث النظريات وعرضها بشكل مُكثّف عبر مصادر كثيرة وأجنبية، وهو مما يعني سِعة الاطلاع لديه، مع ايراد مقدمة لأستاذه (هربرت بلومر) مؤسس التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع مُعدداً كتاب الكعبي اضافة للناتج الفكري في علم الاجتماع (الكعبي، صفحة 12).

### رابعاً: المنهجية

إنّ مقتضيات الدراسة الحالية، سواء في وضع تساؤلاتها وتحديد اهدافها، الزمت الباحث في استخدام تقنية منهجية تصنّف ضمن البحوث الكيفية-التحليلية، وتلك هي تقنية تحليل المضمون (Analysis Content)، ومن خلال هذه الاداة تم وضع خطوات منهجية خاصة وهي : تحديد نطاق الموضوع المُزَمع دراسته وهو مُؤشّر (التّكوين الأكاديمية)، أما تحليل الفئة الفرعية من البيانات فهي (الدكتوراه) وفي سياقها التحليلي تم استخراج الفئات المجردة من الفئات المشاهدة في البيانات وتصنيفها إلى فئتين مجردتين هما: (تكوين عالمي/تكوين محلي).

أما عن وحدة التحليل (العينة) فقد شملت الدليل التعريفي بالمرجعيات الأكاديمية للأساتذة في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد.

وفيما يتعلق بمجالات الدراسة، فإن المجال الزمني ارتبط بلحظة التوثيق للسَّير العلمية للأساتذة في علم الاجتماع ممن تحصَّلوا على شهادات الدكتوراه ضمن مُدّد زمنية تراوحت ما بين (1976-1977/1989-1990) (جامعة بغداد، صفحة 455)، وهما دليلين تعريفين صدرًا في مدتين زمنيتين كما هو واضح، ممّا اتاحا فرصة التحليل عن دور الابتعاث في الهوية السوسولوجية المحلية، وضبط الهويّات التعريفية للأساتذة الذين امتدوا على طوال هذه المُدّد منذ حصولهم على شهادات الدكتوراه ولغاية سنة (1990) (جامعة بغداد، صفحة 53). أما المجال المكاني فقد اقتصر على قسم علم الاجتماع في جامعة بغداد لاعتبارين أساسيين: الأول، أنه أول قسم تأسس في العراق سنة (1954) فضلًا شغله الحيز المكاني الأوحّد في احتضان الوافدين من الابتعاث إلى الجامعات العالمية، الثاني أنّ تأسيس الأقسام الأخرى لعلم الاجتماع في الجامعات العراقية لم يتم الا بعد سنة (1990) تقريبًا، واخيرًا بدأ واضحًا أن المجال البشري تمثل بالأساتذة ممن تحصَّلوا على شهادات الدكتوراه في علم الاجتماع.

### خامسًا: نتائج فئات تحليل مضمون الدليل التعريفي للأساتذة

#### 1. اسم الفئة العامة: (هوية الشهادة في علم الاجتماع والفروع المرتبطة به)

إنّ معاينة الدليل التعريفي للسنوات (1976-1990) للأساتذة في قسم علم الاجتماع بجامعة بغداد، يجعلنا نصنف التكوّن الأكاديمية لهم ضمن مرتبة التكوّن العالمي، فغالبيتهم انحدروا من جامعات عالمية معروفة، إذ توزّعت شهاداتهم بين الدبلوم العالي، الماجستير، الدكتوراه، وظهر الدليل التعريفي أنّ الجامعات الأمريكية شكّلت المرتبة الأولى بواقع (13) حالة تحصيل اكايمي متنوّعة، منها على التوالي: (شيكاغو، واشنطن، ميشغان، بنسلفانيا، سيراكوز، فلوريدا، بيركلي، ميزوري، كاليفورنيا، ماسوستش، تولين، ويست كنتاكي)، مقابل (8) حالة تحصيل اكايمي سجّلت للجامعات الأوروبية وهي على التوالي: (فرنسا-مونبليه، فرنسا-بورردو، المانيا-هروم برخوم، المانيا-برلين الحرة، السويد، اكسفورد-بريطانيا، لندن-بريطانيا). أما الجامعات العربية والمحلية فقد سجّلت نحو (9) وهي: (مصر-القاهرة، العراق-بغداد).

جدول 2 هوية التَّحصيل الأكاديمية في علم الاجتماع والفروع المرتبطة به للسنوات (1976-1977)

ت	الاستاذ	الشهادة*	التخصص	الجامعة	السنة
1	حاتم عبد الصاحب الكعبي	دكتوراه	علم الاجتماع	شيكاغو-أمريكا	1954
2	فيس نعمة جاسم	دكتوراه	انثروبولوجيا	واشنطن-أمريكا	1964

3	خلف احمد الجدعان	ماجستير	علم الاجتماع	بنسلفانيا-أمريكا	1960
		دكتوراه		غير متوفر**	
4	عز الدين علي حسين	دكتوراه	علوم اجتماعية	قاهرة-مصر	1963
5	متعب مناف جاسم	دكتوراه	علم الاجتماع	سيراكوز-أمريكا	1963
6	مصطفى سعيد ابراهيم	ماجستير	علم الاجتماع	فلوريدا-أمريكا	1956
		دكتوراه		غير متوفر	
7	مليحة عبدالله عوني	ماجستير	علم الاجتماع	بيركلي-أمريكا	1956
		دكتوراه		غير متوفر	
8	يونس حمادي علي	دكتوراه	علم الاجتماع	ميزوري-أمريكا	1968
9	فتحية عبد الغني حسين	ماجستير	علم الاجتماع	فريسنو-كاليفورنيا-أمريكا	1964
		دكتوراه	علم الاجتماع	نيويورك	1984
10	فوزية عبد الكاظم	دكتوراه	علم الاجتماع	مونبليه-فرنسا	1968
11	بهيجة احمد شهاب	دبلوم عالي	خدمة اجتماعية	كاليفورنيا-أمريكا	1953
		دكتوراه		غير متوفر	
12	محسن حسين علي	دكتوراه	علم الاجتماع	ماسوستش-أمريكا	1964
13	علاء الدين جاسم محمد	دكتوراه	انثروبولوجيا	قاهرة-مصر	1974
14	شاهزن شكري	دبلوم	خدمة اجتماعية	السويد	1971
		دكتوراه		غير متوفر	
15	حامد صادق سلمان	دكتوراه	علم الاجتماع	هروهم برخوم-المانيا الاتحادية	1975
16	ابراهيم محمد علي حيدر	دكتوراه	علم الاجتماع	برلين الحرة-المانيا الاتحادية	1974
17	معن خليل العمر	دكتوراه	علم الاجتماع	ميشغان-أمريكا	1976
18	خالدة عيسى طه	ماجستير	خدمة اجتماعية	تولين-أمريكا	1956
		دكتوراه		غير متوفر	
19	خالد فرج فتحي	ماجستير	انثروبولوجيا	اكسفورد-بريطانيا	1967
		دكتوراه		غير متوفر	
20	لميس عبد الوهاب الامين	ماجستير	علم الاجتماع	قاهرة-مصر	1971
		دكتوراه		غير متوفر	
21	احمد عيسى علي	ماجستير	علم الاجتماع	ويست كنتاكي-أمريكا	1973

		غير متوفر	دكتوراه		
22	عمر زكي عبد الوهاب	علم الاجتماع	ماجستير	الجامعة الأمريكية-بيروت	1974
		غير متوفر	دكتوراه		
23	ناهدة عبد الكريم حافظ	خدمة اجتماعية	ماجستير	بغداد-العراق	1975
		غير متوفر	دكتوراه	لغاية	1990
24	مازن بشير محمد	علم الاجتماع	دكتوراه	بور دو-فرنسا	قيد الدراسة
25	احسان محمد الحسن	علم الاجتماع	دكتوراه	لندن-بريطانيا	1977-1966
26	عبد المنعم علي نجرس	علم الاجتماع	دكتوراه	اكستر-بريطانيا	1978
27	مجيد حميد عارف	انثروبولوجيا	دكتوراه(متوفى)	اكاديمية العلوم السوفيتية	غير متوفر
28	عبد اللطيف عبد الحميد العاني	علم الاجتماع	ماجستير	بغداد-العراق	1976
		غير متوفر	دكتوراه	لغاية	1990
29	سعدى فيضي عبد الرزاق	انثروبولوجيا	ماجستير	غير متوفر	غير متوفر
		غير متوفر	دكتوراه	لغاية	1990
30	عبد السلام سبع	خدمة اجتماعية	دكتوراه	بور دو-فرنسا	1979
31	سهيل السامرائي	علم الاجتماع	دكتوراه	غير متوفر	غير متوفر
32	احلام شيت حميد	علم الاجتماع	ماجستير	بغداد-العراق	غير متوفر
		غير متوفر	دكتوراه	غير متوفر	غير متوفر
33	انعام جلال توفيق	علم الاجتماع	ماجستير	بغداد-العراق	غير متوفر
		غير متوفر	دكتوراه	غير متوفر	غير متوفر

\* تمثل الشهادة للاساتيد، عند اخر شهادة حصلوا عليها لغاية كتابة الدليل التعريفي للسنوات (1976-1977/ 1990)

\*\* تم التقيّد بالبيانات المتوفرة فقط كما في الدليلين التعريفيين، لذا لم نجد بيانات متوفرة عن بعض شهادات الدكتوراه

يبدو واضحاً، أنّ التحصيل الأكاديمية للأساتذة انحدر من الجامعات العالمية بواقع (26) حالة تحصيل، وهذه دلالة موزعة إلى مستويين من التحليل: الأول، حداثة التأسيس الأكاديمية-الجامعة في العراق، إذ من المعلوم تأسست جامعة بغداد سنة (1954) مما يتطلب اعداد جيل من الأساتذة، فكان الابتعاث إلى الجامعات العالمية امرًا ضروريًا، الثاني الإدراك التّموي المُسبق حيال دور الجامعات العالمية في تحديث التعليم في العراق، وسنجد أنّ لهذا الإدراك نتائج ايجابية عند محاور التأليف الاصيل، والترجمة التأسيسية للمراجع الاساسية في السوسولوجيا مثل: كتاب الايديولوجيا واليوتوبيا لكارل مانهايم بترجمة عبد الجليل الطاهر (1968)، وقبله كتاب المدرسة الميكانيكية والاقتصادية في علم الاجتماع الكسندر سوروكن بترجمة حاتم الكعبي (1947).

جدول 3 نوعيّة التّكوين الأكاديمية للاختصاص

المجموع	محلي	عربي	عالمي	التكوين الأكاديمية المجال
24	3	2	19	علم الاجتماع
5	-	2	3	الانثروبولوجيا
5	1	-	4	الخدمة الاجتماعية
31	4	4	26	المجموع

واللافت من الدليل التعريفي عند فئة الشهادة في التخصصات الثلاث المعروضة، أنّ تحصيلها عالمياً إلى حد كبير بواقع (26)، وهذه الدلالة تقود إلى امكانية وصف حالة الابتعاث الأولى في العراق، أي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وبشكل أكبر الحرب العالمية الثانية من القرن العشرين، أنها بداية تأسيسية للعلوم الانسانية والاجتماعية في جامعة بغداد، مما ساهم في تطوّر هذه العلوم، فمن الواضح أنه في تلك الحقبة الزمنية، ظهرت أسماء لامعة تركت بصمات علمية وفكرية واضحة ما زالت محل دراسة ونقاشات، وقد يقتصر الحديث هنا على رواد السوسولوجيا بمستوى الدكتور علي الوردي والدكتور عبد الجليل الطاهر والدكتور حاتم الكعبي، إلى جانب رائد الانثروبولوجيا شاكّر مصطفى سليم الذي حصل على شهادة الدكتوراه سنة (1955).

#### اسم الفئة الفرعية: (هوية التّكوين للدكتوراه في علم الاجتماع فقط)

جدول 4 يوضح هوية التكوين الأكاديمية في علم الاجتماع

ت	الأستاذ	الجامعة	السنة
1	حاتم عبد الصاحب الكعبي	شيكاغو-أمريكا	1954
2	عز الدين علي حسين	قاهرة-مصر	1963
3	متعب مناف جاسم	سيراكوز-أمريكا	1963
4	يونس حمادي علي	ميزوري-أمريكا	1968
5	فوزية عبد الكاظم	مونبليه-فرنسا	1968
6	محسن حسين علي	ماساتشوستس-أمريكا	1964
7	حامد صادق سلمان	هروهم برخوم-المانيا الاتحادية	1975
8	ابراهيم محمد علي حيدر	برلين الحرة-المانيا الاتحادية	1974
9	معن خليل العمر	وين-ميشغان-أمريكا	1976

10	مازن بشير محمد	بور دو-فرنسا	1976
11	احسان محمد الحسن	لندن-بريطانيا	1977
12	عبد المنعم علي نجرس	اكستر-بريطانيا	1978
13	عبد السلام سبع	بور دو-فرنسا	1979
14	سهيل صالح السامرائي	غير متوفر	-

عند معاينة الفئة الفرعية المتعلقة بشهادة الدكتوراه من الدليل التعريفي حصراً، اتضح أنّ منحها اعتمد على الجامعات العالمية المعروفة في اهتمامها وسجلها بالسوسيولوجيا، وهي كما بدت اربعة جامعات: (أمريكا، فرنسا، المانيا، بريطانيا)، إذ مثلت الجامعات الأمريكية المرتبة الأولى بواقع (5) من اصل (14) حالة تحصيل اكايمي للدكتوراه، في حين جاءت المدرسة الفرنسية بالمرتبة الثانية بواقع (3) جامعات، والمدرسة الالمانية بالمرتبة الثالثة بواقع (2) جامعة، والمدرسة البريطانية بالمرتبة الرابعة بواقع (2) جامعة .

والملاحظ، أنّ هذا التنوع في الجامعات العالمية لايلغي انفراد هوية مدرسية بعينها، والحديث عن الجامعات الأمريكية التي تقوّت عدداً من حيث الابتعاث اليها، فمنذ الحرب العالمية الأولى وحتى أواسط الخمسينيات اخذت السوسيولوجيا في أمريكا مكانة وهوية متميزة عن المدرستين الفرنسية والالمانية، إذ هاجر اليها علماء كثر امثال: تيودور آدورنو، ماكس هوركيمير، هربرت ماركوزه، كارل مانهايم، ألفرد شوتز، وتأسست على أثر ذلك مدارس واقسام لعلم الاجتماع في ولايات امريكية عدة، اخذت مساراً مهنيًا متنوعاً وجديداً، كما هو الحال مع مدرسة شيكاغو ومؤسسها روبرت بارك (R. E. Park) إلى جانب مدرسة كولومبيا، ففي مدرسة شيكاغو اعتمد دارسيها على المناهج النوعية كدراسات الحالة والملاحظة، أما كولومبيا فشهدت دراسات كمية-احصائية بفضل جهود المهاجر اليها بول لازارسفيلد (1901-1976) الذي اسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا سنة (1940) (برتيو، صفحة 69).

وتزامناً مع هذا الازدهار في تنوع المنهج والموضوع في علم الاجتماع، فإن الدليل التعريفي للسنوات (1976-1990) في جامعة بغداد اظهر تفوقاً عددياً في الابتعاث إلى الجامعات الأمريكية، فكان أول جيل تأسيسي للسوسيولوجيا في العراق هو من الجامعات الأمريكية، وقد قادتنا دلالة السنة التعريفية لمنح شهادة الدكتوراه للأستاذ الدكتور حاتم الكعبي سنة (1954)، تتبّع مسار الحصول على الشهادة لأقرانه الآخرين، كالدكتور الوري الذي حصل على الدكتوراه سنة (1950)، ثم الدكتور عبد الجليل الطاهر سنة (1952)، وهو ما يُتيح دلالتان ، الأولى التأثير الذي تركته الجامعات الأمريكية (تكساس، شيكاغو) على اسهامات هذا الجيل، الثانية صدارة هذه الجامعات عالمياً ممّا يُعطي السبق للعراقيين في الابتعاث إلى هذه الجامعات، اذا ما عرفنا أن المدرسة المصرية تأثرت بنتائج دوركهايم الفرنسية، فضلاً أنّ الجامعات الأمريكية حتى منتصف السبعينيات،

وهي المدة التي ما زال الابتعاث إليها مستمرًا، حَظِيَتْ بِإِسْتِشْهَادَاتٍ مَرْجِعِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ، إِلَى جَانِبِ تَفَوُّقِهِمْ بِذَلِكَ خِلَالَ الْمُدَّةِ الزَّمْنِيَّةِ الْمَمْتَدَّةِ مِنْ (1950-1973)، كَمَا يَنْقَلُ ذَلِكَ الْعَالَمَانِ جُونَاثَانُ كُولُ وَهَارِيَّتُ زُوكْرِمَانُ فِي ادْنَاهُ (H.Zuckerman, p. 152) :

جدول 5 العلماء العشرة من مجموع (113) عالمًا الذين نالوا نسب استشهادات متقدمة كما ورد في دراسة كول وزوكرمان

ت	1954-1950	1959-1955	1964-1960	1969-1965	1973-1970
1	Gilfillan C.s. غيفيلان	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون	Merton, R.K. ميرتون
2	Lundberg .G لونديبرغ	Lazarsfeld ,P.F. لازارسفيلد	Crombie, A.C. كرومبي	Price ,Derek برايس	Price ,Derek برايس
3	Demey, J. ديوي	Gaudet, H. غوديه	Barber, B. باربر	Garfield, E. غارفيلد	Hagstrom, w.o. هاغستروم
4	Hart, H. هارت	Wilkening, E.A ويلكنغ	Gillispie, G.C. غيليسبي	Hagstrom, W.O. هاغستروم	Cole, J.R. كول
5	Parsons, T. بارسونز	Wilson, L. ويلسون	Lazarsfeld, P.F. لازارسفيلد	Zuckerman, H. زوكرمان	Ben-David, J. بن دافيد
6	Merton, R.T. ميرتون	Stimson, D.L. ستمسون	Kornhauser, W. كورنهاورز	Gorodon, G. غوردون	Cole, S. س. كول
7	Weber, M. فيبر	Compton, A.H. كومبتون	Flexner, A. فلكسندر	Glaser, B. غلايزر	Zuckerman, H. غوكرمان
8	Shils, E. شلز	Kellner, A. كلنر	Goodrich, H.B. غودريتش	Garvery, W.D. غارفيري	Gaston, J.C. غاستون
9	Conant, J.B. كونانت	Robertson, T. روبرتسون	Kuhn, T.S. كُون	Kessler ,M.M. كسلر	Kuhn, T.S. كُون
10	Leighon, A.H. ليتون	Parsons, T. بارسونز	Caplow, T. كابلو	Gartter, A.M. كارتر	Grane, D. د. كراين

ويظهر من مراجعة الجدول اعلاه، أنَّ تأثير المدرسة الأمريكية بجهود روبرت ميرتون، إلى جانب علماء محدثون الذين ظهروا في المدة (1965-1973) كان واضحًا ويؤكد على تفوق هذه المدرسة. ومن خلال تتبع فئة الدكتوراه في الدليل التعريفي للسنوات (1976-1990) بدأ أنَّ المدرسة الأمريكية بِمُنْظَرِهَا يُحْظَوْنَ بِاسْتِشْهَادٍ وَّاضِحٍ مِنْ قِبَلِ الْبَاحْثِينَ الْعِرَاقِيِّينَ، لِاسْمِهَا إِذَا مَا عَدْنَا إِلَى الدُّكْتُورِ الْكَعْبِيِّ وَمِنْ زَمَانِهِ فِي الْحُصُولِ عَلَى شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ كَالْوَرْدِيِّ وَالطَّاهِرِ، فِي اسْمَاتِ الْكَعْبِيِّ وَجَدْنَا تَأْثِيرَ التَّعَاوُلِيَّةِ الرَّمْزِيَّةِ بِجُهِودِ هَرِبِرْتِ بَلُومِرِ (1900-

1987)، كما في كتابه السلوك الجمعي سنة (1973) والذي أورد فيه-أي الكعبي- مقدمة استاذة بلومر، إذ الأخير اعتبر كتاب الكعبي اضافة للننتاج الفكري في علم الاجتماع (الكعبي، صفحة 11)، كما وجدنا تأثير المدرسة الأمريكية بجهود وليم أوكبرن حول ازدواج الشخصية، روبرت ماكيفر حول التناشر الاجتماعي، ثورشتاين فبلن حول الطبقة المرفهة.

ويبدأ على بناء المرجعية النظرية والمفاهيمية للباحثين العراقيين، ارتهانا بشكل واضح إلى المدرسة الأمريكية، ولكي نفهم هذا الارتهان فإن مراجعة نتاجاتهم كما اشار إلى ذلك الاستاذ الدكتور معن خليل عمر في كتابه التأسيسي رواد علم الاجتماع في العراق (عمر، الصفحات 27-30)، تجعلنا نتوافر على جملة من العلماء الأمريكيين الذين كانوا ذات اثر واضح في مقارنة المفاهيم وفق ظروف معاينة جديدة، وهي بلاشك ظروف الحالة العراقية التي تحولت إلى مختبر لهذه المفاهيم، لكن وهو استدراك يؤكد مهارة الباحثين العراقيين في توظيف هذه المفاهيم لرصد ظواهر عدّة، فما ميّز هذه المفاهيم تتوعها كما في حالة الوردى والطاهر والكعبي، إذ نجد لديهم مفاهيم متنوعة رغم ارتهانا إلى المدرسة الأمريكية، فعند الوردى نجد مفاهيم القيم الاجتماعية، والمثل العليا، والتناشر الاجتماعي، والاستهلاك المظهري، والنزعة الجدلية للعراقيين، فهي مفاهيم تأسيسية عند المعاينة الاجرائية لها، وهذا ما لم يفعل احد قبله في الحالة العراقية أقلها، رغم النقد المنهجي الذي وجهه الكعبي اليه في حاشية كتابه السلوك الجمعي (1973) ص(246)، من عزوف الوردى عن المنهجية الكمية في جمع البيانات وتحليلها، فمع وجاهة هذا النقد الا إنه لايمثل تبرير الباحث وهو الوردى، فالأخير برّر لنفسه بشكل مختلف كما لمسنا ذلك في مقدمة كتابه دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، في أن منهجيته نوعيّة تعتمد على الملاحظة والمقابلة، وهي منهجية علمية ايضا. أما ما يتعلق بالطاهر، فإنه مال في منهجيته لجمع مزايا المناهج الكمية والنوعية كما في دراسات التحول نحو المجتمع الحضري، والشخصية العراقية، ودراسات ميدانية اخرى، وهو ما يُبرّر تنوع استشهاده بين المدرسة الأمريكية والمدارس الأوروبية. في حين اجاد الكعبي رغم ارتهانه للمدرسة الأمريكية كما فعل الوردى، الا إنه قدم استشهادات مرجعية واحالات توثيقية رصينة، إلى جانب توسيعه لنطاق نظرية التفاعل الرمزي في تطبيقاتها نحو الحالة العراقية وهو ما اكده الاستاذ الدكتور معن خليل عمر في كتابه المشار اليه انفاً، مُفسّراً المجتمع العراقي في سياق هذه النظرية كما في دراسات مظاهر السلوك الجمعي.

جدول 6 يوضح تأثير هوية التكوين الأكاديمية على الننتاج البحثي والتأليفي للباحثين العراقيين

الاستاذ	الإطار النظري	هوية الإطار النظري	العلماء في الإطار النظري
علي الوردى	النزعة الجدلية، والاستهلاك المظهري	أمريكا	ثورشتاين فبلن
	المثل العليا، والقيم الاجتماعية	أمريكا	وليم غراهام سومنر
	ازدواج الشخصية	أمريكا	وليم أوكبرن

روبرت ماكيفر	أمريكا	التناثر الاجتماعي	
كارل مانهايم، علماء جامعة شيكاغو، التحليل الفيونينولوجي، التجريب	أوروبا وأمريكا	اصنام المجتمع، المجتمع الحضري والزراعي، الشخصية العراقية	عبد الجليل الطاهر
التفاعلية الرمزية (هربرت بلومر)	أمريكا	حركات المودة، السلوك الجمعي، الزعامة، الثورة	حاتم الكعبي

إنَّ الجدول (5) يعرض لنا خصائص المعرفة السوسولوجية-المحلية، وهي خصائص يمكن إجمالها في نقطتين أساسيتين: الأولى، خصائص أمريكية-ثقافية، والثانية خصائص أمريكية-منهجية. فالخصائص الأولى التي تُوصف بالتثاقفية، تضمَّنت تلاحق حضاري متنوع، إذ من المعلوم أنَّ أمريكا شكَّلت الوجهة الآمنة أكاديمياً للعلماء المهاجرين بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، وقد أشرنا إلى علماء بمستوى كارل مانهايم، بول لازارسفيلد، بتريم سوروكن وآخرين، وهو ما ساعد على اتاحة افكارهم للترجمة والنقل، كما عند عبد الجليل الطاهر وحاتم الكعبي.

أما الخصائص المنهجية، فقد تضمَّنت الحس البراغماتي في التعاطي مع نقل المعرفة السوسولوجية أو ترجمتها أو تضمينها أكاديمياً في جامعة بغداد، -وكما سنلاحظ ذلك عند معاينة المقررات الدراسية-، فما عُين على هذه الخصائص أنَّ معاينة الظواهر المجتمعية في الحالة العراقية لم تكن نظرية خالصة، بل شكَّلت الميدان مجالاً لاقتناص الموضوعات وتبويبها في أطر نظرية ميَّزت -على الأقل- جهود علي الوردي، الذي يُنتقد-وهو انتقاد غير مبرر- على منهجيته واعتبارها بعيدة عن المجال التطبيقي، الا أنَّ الوردي استخدم الملاحظة بالمشاهدة وأحياناً المشاركة لتحويل المعطيات المشاهدة إلى (تكييف) نظري بمساندة الأطر النظرية الأمريكية غالباً، أو العكس، وهو حس براغماتي-واقعي.

وعموماً فإن تأثير العلماء الأمريكيين على الباحثين العراقيين يبدو كبيراً، حتى فيما يتعلق بكتابة الرسائل والأطروحات العلمية، التي يُشيعُ فيها استخدام النظرية البنائية الوظيفية سواء عند بارسونز أو ميرتون (علي، صفحة 220).

### فئة التكوين الأمريكي للدكتوراه

جدول 7 يوضح هوية التكوين الأمريكي للدكتوراه

جامعة ميشغان	جامعة ماسوستش	جامعة ميزوري	جامعة سيراكوز	جامعة شيكاغو	هوية التكوين الأمريكي للدكتوراه
معن خليل العمر	محسن حسين سعيد	يونس حمادي علي	متعب مناف	حاتم الكعبي	

قد لانبالغ في القول: أنَّ ذروة ازدهار السوسولوجيا في العراق ارتبطت بجهود المبتعثين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بل أنَّ نتاجات العلماء العراقيين تأليفاً وترجمة -كما تمَّت الإشارة آنفاً- يُؤشِّر عليها الرصانة ونقل المفهوم السوسولوجي بدقة عالية؛ استناداً للغة المكتسبة من الجامعات الأمريكية.

فقد أسهمت ترجماتهم التأسيسية في اتاحة الاستشهاد بهم عربيًا، وهذا واضح في مراجعة قسم من ترجماتهم لاسيما عند عبد الجليل الطاهر الذي سبق غيره في ترجمة كتاب الأديولوجيا واليوتوبيا، وكذلك الحال عند حاتم الكعبي الذي اسهم في ناحيتين، الأولى ترجمته التأسيسية لكتاب المدرسة الميكانيكية والاقتصادية في علم الاجتماع للعالم بيترم سوروكن، والناحية الثانية تقديمه حقل السلوك الجمعي كحقل جديد إلى اللغة العربية، أما الدكتور الوردى فرغم عدم ترجمته لمصادر، إلا أنه حظي باستشهاد كما أشار لذلك (الطاهر لبيب) في دراسته السابقة (علم الاجتماع في تونس نصًا وتدريسًا). ويمكن توضيح جهودهم في الترجمة إلى جانب الاستشهاد من خلال الجدول ادناه.

جدول 8 يوضح قسمًا من نتاجات الترجمة والاستشهاد بالمؤسسين في السوسولوجيا العراقية

الاستشهاد	الترجمة*	الأستاذ
محلي / عربي	-	علم الوردى
محلي /عربي	العشائر والسياسة، تقرير لدائرة الاستخبارات البريطانية(1958)	عبد الجليل الطاهر
	اصول فلسفة الطبقة الوسطى(1960)	
	المزارع التعاونية الجماعية، شارل بوفيه(1960)	
محلي / عربي	الايديولوجيا والطوبائية، كارل مانهايم(1968)	
	المدرسة الميكانيكية في علم الاجتماع، بيترم سوروكن(1948)	حاتم الكعبي
	المدرسة الاقتصادية في علم الاجتماع، بيترم سوروكن(1948)	

\* اعتمدنا في جمع نتاجات الترجمة على جهود اساتذتنا السابقين وهم: دكتور معن خليل عمر في كتابه رواد علم الاجتماع في العراق، دكتور كريم محمد حمزة في كتابه مرايا السوسولوجيا، مع بعض المصادر المتوفرة لدينا.

ومما لاحظنا على نتاجات الحاصلين على الدكتوراه -كما أتضح آنفًا-، تتوّع وتفوّق الادوات التحليلية والتطبيقية معًا، ففي جهود حاتم الكعبي لاحظنا التأسيس والتحليل لحقل معرفي جديد هو السلوك الجمعي، والذي أصبح مقرّرًا دراسيًا في قسم علم الاجتماع، فضلًا عن جمع وترجمة وتحليل مقاربات نظرية عديدة من مصادر أمريكية غالبًا في كتابه السلوك الجمعي، وفي جهود متعب مناف سيما النظرية السوسولوجية كانت واضحة -رغم قلة نتاجاته-، الا أنه قدّم محاضرات رصينة يشهد له فيها طلابه، أما دكتور يونس حمادي فظهر على اسهاماته القليلة أيضًا الطابع التطبيقي-الكمي لاسيما في كتابه مبادئ علم الديموغرافيا، وكذا الحال ينطبق على جهود دكتور معن خليل العمر، ومن ثم انعكست هذه الاهتمامات على واقع إقرار مفردات التدريس في قسم علم الاجتماع منذ سبعينيات القرن العشرين كما يظهرها الجدول الآتي:

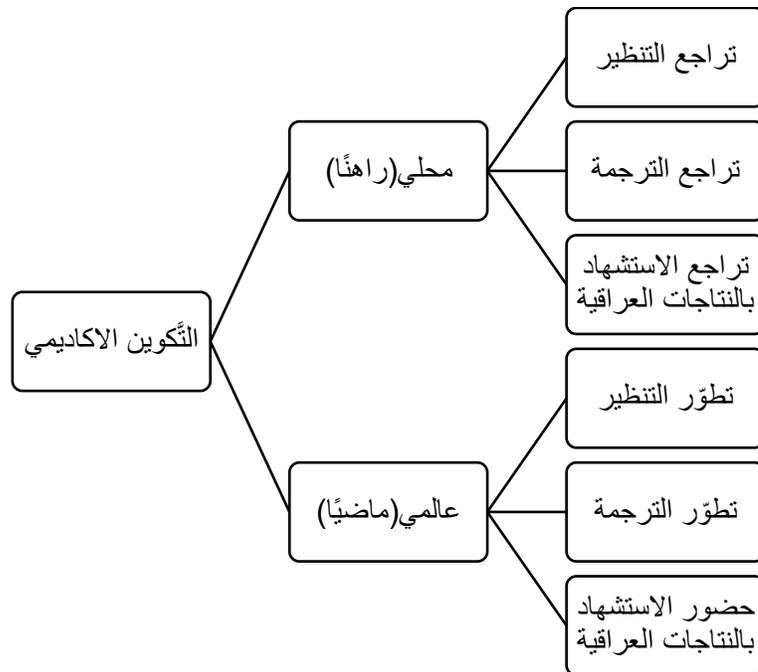
جدول 9 مفردات التدريس في علم الاجتماع للسنتين الثالثة والرابعة منذ(1976-1977)

عدد الوحدات	الموضوع(المقرّر)	عدد الوحدات	الموضوع(المقرّر)
	السنة الرابعة		السنة الثالثة
3	نظريات اجتماعية	3	طرق البحث الاجتماعي
3	الإحصاء الاجتماعي	3	علم السكان
3	التخطيط الاجتماعي	3	علم اجتماع العائلة
3	التغير الاجتماعي	3	علم الأجرام
3	علاج المجرمين	3	علم الاجتماع الصناعي
3	الطبقة الاجتماعية	3	علم الاجتماع الحضري
2	علم الاجتماع التطبيقي	2	السلوك الجمعي

إنّ ملاحظة المقرّرات الدراسيّة في الجدول (5) يقدم لنا دلالة في شيوع الجانب التطبيقي-البراغماتي في تدريس هذه المقرّرات، وهو جانب-كما قلنا- ازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية، كما انه شيوع مرتبط بالمرجعيات الأكاديمية للاستاذة العراقيين الذين ظهروا في الدليل التعريفي (1976-1977)، لذا فإن أغلب المقرّرات ذات توجه عملي تُقدّم إلى المتلقّي.

### سادساً: ملحق استدرّكات التكوّن الأكاديمية كمنطق انعكاسي

إنّ نتائج التحليل حول تحصيل شهادات الدكتوراه من الجامعات العالمية، هي -بلا شك- أسست ظروفًا متّاحةً للانتاجية البحثيّة والنوعيّة الاجتماعية وهو ما اشار اليه الاخوين كول، ممّا حدّدًا سُمعة الاستاذ الجامعي في العراق، كل ذلك يندرج في عنوان (التكوّن العالمي-الأمريكي) في منح الدكتوراه، و ما يُستدرك في هذا التكوّن، عدم الممارسة الخطيّة لمؤشراتهِ ممّا وسّم علم الاجتماع في العراق راهنًا، علم عاجز عن ايجاد هويّة له، وهذا ما يُؤشّر في ابعاد ابستمولوجية-سوسيولوجية، تبدأً أولاً: بضعف الادوات النظرية والمنهجية التي تمكّن الباحث من دراسة مسائل أو مشكلات اصيلة، أو الترجمة الذي اصبح فعلاً ماضيًا، وانحصر إلى حد كبير في جهود المؤسسين مثل: عبد الجليل الطاهر وحاتم الكعبي في الجيل الأول، واحسان محمد الحسن في الجيل الثاني، أما سوسيولوجيًا فإن عدسات معاينة الواقع الاجتماعي في العراق انحصرت كذلك في جهود الرواد المؤسسين. ولذا نعد هذا الاستدراك (المُستفّر) استدرّكًا معكوسًا أو دائريًا (تطوّر/اخفاق) يمكن ايضاحه أكثر في الرّسمة الآتية:



رسم توضيحي 3 استدراك الاخفاق/التطور في ممارسة السوسيولوجيا في العراق

إنَّ السوسيولوجيا كما أكد الباحثين (Zygmunt Bawman & Tim May) مُمارَسَة مُنْضَبِطَة تُثِيرُ اسئلة مُحدَّدة، وهذا جوهر المعرفة، وتستخدم نظريات أو مقاربات كعدسات سوسيولوجية للمجتمع والعلاقات الاجتماعية (ماي، صفحة 23). وما قام به اصحاب التَّكوين العالمي-الأمريكي من الأساتذة العراقيين هو إعادة تقديم هذه العدسات بهويَّة عراقية والتي شكَّلت دليلاً (ببليوغرافيا) في وصف البناء الاجتماعي في العراق بجماعاته المُتنوِّعة، إيساقها/تتافرها، واللائت بدرجة كبيرة أنَّ هذا التَّكوين كان مُرشِّداً مُنْضَبِطاً كمُمارَسَة سوسيولوجية إنْتَهَجها كُلُّ من الوردي في دراساته عن الشخصية وخصائص المجتمع العراقي، وكذا الحال بالنسبة إلى الطاهر في دراساته عن العشائر والشخصية، ودراسات الكعبي حول مظاهر التغيُّر الاجتماعي وتحديدًا عن حركات المودة والثورة وأنماط السلوك الجمعي.

إنَّ المنطق (الانعكاسي) يكمنُ في الاستدراك حول توقُّف هذه المُمارَسَة المُنْضَبِطَة عبر مُؤشِّراتها في الرِّسمة أعلاه مثل: غياب التَّنظير وهو ما ميِّز مرحلة الرواد المؤسسون، وغياب التَّرْجِمة، واخيرا غياب الاستشهاد بالنتائج العراقية في حقل السوسيولوجيا، ومن ثم، فإن واقع المُمارَسَة السوسيولوجية (راهناً) ليست مُمارَسَة خَطِيئة-تطوُّريَّة، وكل ما نَصَبُو اليه اليوم هو اجراء دراسات ميدانيَّة-مسخيَّة يكتفي كِتَابُهَا بإعادة ذات الاشكاليات البحثيَّة من سوء استخدام النظريات وسوء استخدام المناهج، واخيرا بَدَاهَة وصف العلاقات الاجتماعية.

**الخاتمة والاستنتاج**

فأدنتنا نتائج تحليل فئات التكوين الأكاديمية للأساتذة العراقيين في السنوات (1976-1990)، إلى بيان مركزية التكوين العالمي لهؤلاء الأساتذة، إذ انضح أن جلهم انحدروا من مرجعيات أكاديمية عالمية تأسيسية في علم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية، والانثروبولوجيا. وعند معاينة الشهادات الممنوحة في علم الاجتماع حصراً، فقد تبين أن (14) حالة تكوين هي عالمية سواء من الجامعات الأمريكية أو الفرنسية أو الألمانية أو البريطانية والاتحاد السوفيتي (سابقاً)، واللافت من النتائج أن هذه المدارس هي الركائز الأساسية في تطور حقل السوسولوجيا في العالم، مما ظهر معنا أن الإدراك المسبق في ارسال الطلبة العراقيين كان ادراكاً مقصوداً (تخطيط) حيال اعتبار هذه المدارس المرجعيات الأكاديمية الدقيقة في تأسيس علم الاجتماع.

وعند فحص جامعات هذه المدارس، فقد بدأ التفوق واضحاً للجامعات الأمريكية، فهي شكّلت المرتبة الأولى بواقع (5) جامعات من اصل (14) حالة تحصيل أكاديمي للدكتوراه في فئة التكوين العالمي، وهي على التوالي: (شيكاغو، سيراكوز، ميزوري، ماساتشوستس، مشيغان) فهي جامعات تحظى بتصنيفات مرموقة.

إنّ فئة التكوين الأمريكي للأساتذة العراقيين، بدأ عليها الفئة الأكثر حضوراً في حقل السوسولوجيا العراقية للسنوات (1976-1990)، وهو ما يعني أن هوية المدرسة العراقية متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة الأمريكية، وما ساعد على هذا الاستنتاج ما كتبه المؤسسين كما ظهر في الدليل التعريفي، فالوقوف عند الدكتور حاتم الكعبي الذي تحصّل على الدكتوراه سنة (1954) من جامعة شيكاغو، قادنا إلى مراجعة نتاجاته ونتائج زملائه سيما الدكتور علي الورد، فأنضح شيوع الاقتباسات والاستشهادات بأعلام المدرسة الأمريكية، فلاحظنا عند الكعبي تأثير (هربرت بلومر) مؤسس التفاعلية الرمزية سيما في كتابه التأسيسي السلوك الجمعي، الذي اصبح مقرراً دراسياً في جامعة بغداد منذ سبعينيات القرن العشرين، أما الدكتور الورد في تأثير العلماء الأمريكيين واضحاً كذلك مثل: (وليم أوكبرن W. Ogburn، روبرت ماكيفر R. MacIver، ثورستين فيبلن T. Veblen...)، إلى جانب تأثير تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون اللذين كُثر الاستشهاد بهما في الحالة العراقية. إنّ تأثير فئة التكوين العالمي-الأمريكي في الحالة العراقية امتدت إلى إقرار مفردات التدريس كما ظهر في الدليل التعريفي (1976-1977)، إذ لاحظنا حضور الجانب التطبيقي-البراغماتي في تقديم السوسولوجيا إلى المتلقين-الطلاب.

ولابدّ الإشارة في خاتمة الدراسة، انه ظهر استندراك يتعلق بتراجع مؤشر فئة العالمي في منح الشهادات في علم الاجتماع والاقتصار على مؤشر المحلي، وهو ما أكد فرضية الأخوين (كول) نحو مكانة الجامعة في تحديد مقام الأستاذ الجامعي، والذي يُرهن تكوينه العلمي إلى القدرات البحثية والتطبيقية المتفوّقة حسب مؤشر العالمي، أما في المؤشر المحلي فيبدو التشرذم بين الجانبين كما اشار ديفيد ميلز في دراسته السالفة، إذ يكون الاقتصار على الجانب التطبيقي في بحث المشكلات ذات الطابع الكمي فقط، مقابل ضعف القدرات النظرية والمقارنة.

إنَّ الاستدراك (الانعكاسي) يكمنُ حول توقُّف الممارسة السوسولوجية المُنصِبِطة عبر مُؤشِّراتها مثل: غياب التَّنظير وهو ما ميِّز مرحلة الرواد في العراق، وغياب التَّرجمة، وأخيراً غياب الاستشهاد بالنتائج العراقية في حقل السوسولوجيا، ومن ثم، فإن واقع الممارسة السوسولوجية (راهناً) ليست مُمارسة خَطِيئة-تَطوُّريَّة، وكل ما نَصْبُو إليه اليوم هو إجراء دراسات ميدانيَّة-مسخيَّة يكتفي كِتَابُهَا بإعادة ذات الاشكاليات البحثيَّة من سوء استخدام النظريات وسوء استخدام المناهج، وأخيراً بَدَاهة وصف العلاقات الاجتماعية.

### المصادر والمراجع العربية

1. ابراهيم الحيدري. (2012). شخصية الفرد وازدواجيتها لعلي الوردي (محاولة لتفسير طبيعة المجتمع العراقي). *إضافات، الصفحات 73-72.*
2. احمد موسى بدوي. (30 يونيو، 2012). التكوين العلمي السوسولوجي في المشرق العربي (علم الاجتماع بحثاً وتدریساً في مصر والسودان. *المستقبل العربي، صفحة 132.*
3. الطاهر لبيب. (1989). علم الاجتماع في تونس (التدریس نصاً وروحاً). تأليف محمد عزت (وآخرون)، *نحو علم اجتماع عربي (علم الاجتماع والمشكلات العربية/الراهنة) (صفحة 325).* بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. الطيب شنتوف. (6 حزيران، 2018). خمسون سنة من السوسولوجيا المغاربية في الفترة ما بعد الكولونيالية. *مجلة عمران، صفحة 138.*
5. جان ميشال برتيلو. (1999). *بناء علم الاجتماع (المجلد 1).* (جورجيت الحداد، المترجمون) بيروت: عويدات.
6. جيرار ليكلرك. (2004). *العولمة الثقافية (الحضارات على المحك) (المجلد 1).* (جورج كتورة، المترجمون) طرابلس: دار الكتاب الجديد.
7. حاتم الكعبي. (1971). *حركات المودة (المجلد 1).* الديوانية: مطبعة الديوانية الحديثة.
8. حاتم الكعبي. (1973). *السلوك الجمعي.* الديوانية: مطبعة الديوانية الحديثة.
9. حاتم الكعبي. (1973). *السلوك الجمعي (الإصدار 1).* الديوانية: مطبعة الديوانية.
10. حاتم راشد علي. (2022). *سوسولوجيا المعرفة الأكاديمية في العراق، حالة النتائج البحثي في اقسام علم الاجتماع (المجلد 1).* بيروت: العارف.
11. زيغمونت بأومان وتم ماي. (2023). *التفكير سوسولوجياً (المجلد 1).* (حجاج ابو جبر، المترجمون) وهران: ابن النديم.
12. سعد الدين ابراهيم. (30 يونيو، 2012). المرجعيات الغربية للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي (مقاربة تأليفية). *المستقبل العربي، صفحة 97.*
13. عبد الجليل الطاهر. (1956). *اصنام المجتمع.* بغداد: مطبعة الرابطة.
14. عبد الجليل الطاهر. (1969). *القوقعة والقلق في الشخصية العراقية. المثقف العربي، صفحة 35.*
15. عبد الرحمن ابو زيد ولي الدين ابن خلدون. (2004). *المقدمة (الباب الثاني: في العمران البدوي والامم الوحشية وما يعرض في ذلك من الاحوال).* بيروت: دار الفكر.

16. عروس الزبير. (30 يونيو، 2012). مدخل إلى تاريخ وواقع الممارسة السوسيوولوجية(المدرسة المغاربية نموذجاً. المستقبل العربي، صفحة 113.
17. علي الوردي. (1965). دراسة في طبيعة المجتمع العراقي(محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث). بغداد: العاني.
18. فالح عبد الجبار. (2014). في الاحوال والاهوال(المنابع الاجتماعية والثقافية للعنف) (المجلد 2). بغداد: ميزوبرتاميا.
19. معن خليل عمر. (1990). رواد علم الاجتماع في العراق (المجلد 1). بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.
20. ميشال دويوا. (2008). مدخل إلى علم اجتماع العلوم (المجلد 1). (سعود المولى، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
21. ميشال دويوا. (2008). مدخل إلى علم العلوم (المجلد 1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
22. نورمان فاركلوف. (2009). تحليل الخطاب(التحليل النصي في البحث الاجتماعي) (المجلد 1). (طلال وهبه، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
23. هادي صالح محمد. (1990). آفاق علم الاجتماع في الوطن العربي. كلية الاداب، علم الاجتماع. بغداد: جامعة بغداد.

## المصادر والمراجع الانكليزية

1. Angela Brww, e. a. (2015, may 9). *Research productivity and academics' conceptions of research*. Retrieved april 22, 2023, from [https://www.researchgate.net/publication/282599881\\_Research\\_productivity\\_and\\_academics%27\\_conceptions\\_of\\_research](https://www.researchgate.net/publication/282599881_Research_productivity_and_academics%27_conceptions_of_research).
2. Elisabeth. M . S, L. B. (2017, 6 6). United States, Europe and Asia: Diversity in Nobel prize-winning affiliations. *International Higher Education, The Boston College Center For International Higher Education*, p. 12.
3. H.Zuckerman, J. &. (1975). The Emergence of Ascientific Specialty: The Self-Exemplifying Case of The Sociology Of Sociology of Science. In L. A.Coser, *The Idea of Social Structure: Papers in Honor of Robert K. Merton* (p. 152). New York: Harcourt Brace Jovaovich.
4. Qazzaz, A. A. (1972, February 1). Sociology in Underderdeveloped Countries(A case Study of Iraq). *The Sociological Review*, pp. 93-103.
5. Zuckerman, J. R. (1984). The productivity puzzle: persistence and change in patterns of publication on men and women. In M. W. Maehr, *Advances in Motivation and Achievement: Aresearch Annual* (pp. 242-243). Greenwich,Conn: JAI Press.